الفصل الثالث

شبهة الطاعنين فى حديثى "نوم النبى ﷺ عند أم سليم وأم حرام" والرد عليها

أولاً : حديث أم سليم – رضى الله عنها :

روى البخارى ومسلم – رحمهما الله – عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : "إن أم سليم[1] كان تبسط للنبى ﷺ، نطعاً فيقيل عندها على ذلك النطع، قال : فإذا نام النبى ﷺ، أخذت من عرقه وشعره فجمعته فى قارورة، ثم جمعته فى سك[2] وهو نائم. قال : فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يجعل فى حنوطه من ذلك السك، قال فجعل فى حنوطه"[3]0

ثانياً : حديث أم حرام – رضى الله عنها :

روى البخارى ومسلم – رحمهما الله – عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : "كان رسول الله ﷺ، إذا ذهب إلى قباء، يدخل على أم حرام بنت ملحان[4]،

---

1 () هى : أم سليم بنت ملحان، واسم ملحان : مالك بن خالد بن حرام بن جندب بن النجار، الأنصارية الخزرجية النجارية، أم أنس بن مالك، تلقب بالرميصاء من غير شك، سهلة، وقيل : رميلة، وقيل غير ذلك، كانت تحت مالك بن النضر، والد أنس بن مالك، فى الجاهلية، فغضب عليها، وخرج إلى الشام، ومات هناك.
فخطبها أبو طلحة الأنصارى وهو مشرك، فقالت : أما إنى فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فلك مهرى، ولا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها، وحسن إسلامه، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ [illegible].

2 () هو : طيب معروف يضاف إلى غيره من الطيب ويستعمل. النهاية 2/346 0

3 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال عندهم 11/73 رقم 6281، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبى ﷺ [illegible]

4 () هى : أم حرام بنت ملحان بن خالد بن حرام بن جندب بن النجار، الأنصارية الخزرجية، النجارية، زوج عبادة بن الصامت، وأخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك، ولا يصح لها اسم، وتلقب

فتطعمه، وكانت أم حرام – تحت عبادة بن الصامت – فدخل عليها رسول الله ، فأطعمته، وجعلت تفلى رأسه، فنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك، قالت : فقلت : وما يضحك يا رسول الله؟ قال : **ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله، يركبون ثبج**[1] **هذا البحر، ملوكاً على الأسرة، أو قال : مثل الملوك على الأسرة،** يشك – إسحاق – قالت : فقلت : يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فدعا لها رسول الله ، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت : ما يضحك يا رسول الله؟ قال : **ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله** – كما قال فى الأول – قالت : فقلت : يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، قال : **أنت من الأولين.** فركبت البحر فى زمن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت"[2]0

بالحديثان السابقان طعن أعداء السنة، فى عدالة الإمام البخارى، وفى صحيحه الجامع، وزعموا أن الروايات السابقة يلزم منها؛ الطعن فى عصمة رسول الله فى سلوكه، وفى خلقه العظيم 0

يقول أحمد صبحى منصور : "يريدنا البخارى أن نصدق أن بيوت النبى التى كانت مقصداً للضيوف، كانت لا تكفيه، وأنه كان يترك نسائه بعد الطواف عليهن، ليذهب للقيلولة عند امرأة أخرى، وأثناء نومه كانت تقوم تلك المرأة بجمع عرقه وشعره، وكيف كان يحدث ذلك... يريدنا البخارى أن نتخيل الإجابة.. ونعوذ بالله من هذا الإفك... ثم يؤكد البخارى على هذا الزعم الباطل بحديث أم حرام ... الذى تضمن كثيراً من الإيحاءات والإشارات المقصودة، لتجعل القارئ يتشكك فى أخلاق النبى؛ فيفترى الراوى : كيف كانت تلك المرأة تطعمه، وتفلى رأسه، وينام عندها، ثم يستيقظ ضاحكاً ويتحادثان نعوذ بالله من الافتراء

بالغميصاء،والغمص والرمص،نقص يكون بالعين، وكان للنبى

1 () أى وسطه ومعظمه. النهاية 1/201 0

2 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال عندهم 11/73 رقمى 6282، 6283، وكتاب الجهاد، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء 6/13 رقمى 2788، 2789، وباب فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم 6/22 رقمى 2799، 2800، وباب ما قيل فى قتال الروم 6/120 رقم 2924، وكتاب التعبير، باب رؤيا النهار 12/ 408 رقمى 7001، 7002، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب فضل الغزو فى البحر 7/65 رقم 1812 0

على رسول الله... ويتركنا البخارى بعد هذه الإيحاءات المكشوفة، نتخيل من معنى أن يخلو رجل بامرأة متزوجة فى بيتها، وفى غيبة زوجها، وأنها تطعمه، وتفلى له رأسه، أى أن الكلفة قد زالت بينهما تماماً، وأنها تعامله، كما تعامل زوجها.. ثم يقول : "وجعلت تفلى له رأسه، فنام رسول الله ثم استيقظ" ولابد أن القارئ سيسأل ببراءة ... وأين نام النبى وكيف نام، وتلك المرأة تفلى له رأسه، وآلاف الأسئلة تدور حول هدف واحد هو ما قصده البخارى بالضبط"[1]0

ويجاب عن ما سبق بما يلى :

أولاً : لنا أن نتساءل : لماذا كل هذا الحقد على الإمام البخارى؟ ولماذا الحمل على البخارى – رحمه الله – فى هذه الرواية، والتشنيع عليه، مع أن غيره من علماء الحديث شاركه فى رواية هذا الحديث؟ إنه لم يخترع، ولم يؤلف، ولم يشطح به الخيال!0

لقد نقل ما سمعه من شيوخه الثقات، مما سمعوه من شيوخهم، إلى أن وصل النقل إلى الرسول ، أو إلى الصحابى الذى روى عن الرسول 0

والناقل لا يطلب منه إلا التأكد من صحة ما نقل، واستيفاء شروط النقل ولا يكون مسئولاً عن ذات الشئ المنقول، لأن ناقل الكفر ليس بكافر بمجرد نقله لذلك 0

لقد أعماهم الحقد على كل ما يتصل بالسنة، ورواتها، فصبوه صباً عليهم، واختص البخارى بأشد أنواع الحقد؛ لأنه جمع أصح الروايات، وبذل أقصى الجهود 0

وذنب البخارى عندهم، أنه أخلص. وبذل حياته وماله فى جمع السنة، ونقد الحديث، واستخلص صحيحه من صفوة الصفوة من الحديث، ورسم المناهج، وقعد القواعد، وأصل الأصول 0

من أجل ذلك عابوه وشتموه، وحاولوا تشويه صورته، ونطحوه بقرون حقدهم، يريدون القضاء على جهوده، وإبادة عمله، ولو استطاعوا لأخرجوا رفاته، فصبوا عليه ويلاتهم. ولكن هيهات فهم كما قال القائل :

---

[1] () لماذا القرآن ص 92 – 94، وقراءة فى صحيح البخارى ص 41 – 46 كلاهما لأحمد صبحى منصور وينظر : دين السلطان لنيازى عز الدين ص 530، والخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص 73، 75، وأهل السنة شعب الله المختار ص 272، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 61 – 124، ثلاثتهم لصالح الوردانى، والسلطة فى الإسلام لعبد الجواد ياسين ص 268، 269 0

كناطــح صــخرة يومــاً *** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل ليوهنها

ثانياً : وماذا فى قصة أم حرام :

إن البخارى – رحمه الله – ذكرها فى صحيحه فى كتاب الاستئذان، باب "من زار قوماً فقال عندهم"0

والقوم يطلق فى الغالب على الجماعة، وكأن البخارى يرى أن ما يرويه من الحديث، فى زيارة واحد وهو الرسول ، لجماعة وهم أهل البيت الذى فيه أم حرام 0

وهذا من فقهه فى تراجمه الذى رفع مكانته بين العلماء، وأثار إعجاب كل متابع له فى فهم معانى الحديث 0

ثم روى البخارى الحديث عن أنس بن مالك، وأم سليم هى أم أنس، وأم حرام هى أخت أم سليم، وهنا يظهر جلياً أن البيت الذى كان يقيل فيه رسول الله ، هو بيت فيه أم سليم، وأختها أم حرام، وأنس بن أم سليم 0

وقد ورد فى المسند عن أنس "أن رسول الله صلى فى بيت أم سليم، وأم سليم، وأم حرام خلفنا، ولا أعلمه إلا قال : أقامنى عن يمينه"[1] فأى ضير فى أن يكرم الرسول ، أنساً خادمه، فيدخل بيته يقيل فيه، ويأكل، وفى هذا البيت أمه، وخالته، وقد يكون فيه غيرهما زوج أم سليم، أو زوج أم حرام، أو زوجهما 0

وسبب آخر لإكرام الرسول ، أهل هذا البيت بالزيارة، مع أن غيرهم كثير ممن يود أن يتشرف بالرسول فى مثل هذه الزيارة. لقد استشهد أخوهما فى سبيل الله، فكان رسول الله يواسيهما معاً بهذه الزيارة، حيث أنهما كانتا فى دار واحدة، كل واحدة منهما فى غرفة من تلك الدار[2]0

---

1 () أخرجه أحمد فى المسند 3/239، وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/282 0

2 () فلا تعارض حينئذ، حيث نسب الراوى الزيادة تارة إلى أم سليم، وتارة إلى أم حرام ينظر : فتح البارى 6/60 رقم 2844، 11/81 رقمى 6282، 6283 0

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه "أن النبى ﷺ، لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة، غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له، فقال : **إنى أرحمها؛ قتل أخوها معى"**[1] يعنى حرام بن ملحان[2] وكان قد قتل يوم بئر معونة 0

وفى تعليله ﷺ "إنى أرحمهما" فيه أنه خلف حرام بن ملحان فى أهله بخير بعد وفاته، ولذا ذكر البخارى الحديث السابق فى كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، وهذا من فقهه ودقته – رحمه الله 0

فكانت زيارته ﷺ لأم سليم وأختها أم حرام، عملاً بما قاله ﷺ : **"من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً فى سبيل الله بخير فقد غزا"**[3]0

وفضلاً عن ما سبق، فقد غنم المسلمون من هذه الزيارة علماً من أعلام النبوة، فى أخبار الرسول ﷺ، عما سيكون قبل وقوعه، حيث أراه الله له، وإخباره أم حرام بأنها من الأولين ركاب السفن الغازية. وتحقق ما أخبر به من ركوبها وغزوها ثم استشهادها الذى حال بينها وبين أن تكون من أهل السنن الغازية التى تلت ذلك، ورآها الرسول 0ﷺ

ثالثاً : من أين جزم أحمد صبحى، ومن قال بقوله؛ بانفراد رسول الله ﷺ مع أم حرام أو أم سليم؟ وكيف قطع بأن أحداً لم يكن معهما؟، وما الذى يمنع أنساً وهو خادمه من الدخول إلى بيت أمه، وهو نفسه بيت خالته؟ وأين أخوه اليتيم، ومن كان من الأزواج حاضراً؟ بل وأين من كان من الأقارب، وكل من حول قباء من الأنصار الذين لا يتركون الرسول ﷺ، وهو يزور قباء، وهم من أخواله الذين نزل بينهم أول قدومه المدينة؟!0

لقد كان الصحابة يحرصون على مرافقة الرسول ﷺ، وكانوا يسعدون بصحبته كلما خرج من بيته، وكانوا يلتمسون رؤيته وسماعه، ورؤية ما يصدر منه 0

---

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير 6/59 رقم 2844 0

2 () له ترجمة فى : أسد الغابة 1/712 رقم 1124، والاستيعاب 1/336 رقم 497، وتاريخ الصحابة ص 78 رقم 302، والإصابة 1/319 رقم 1654 0

3 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير 6/58 رقم 2843 من حديث زيد بن خالد رضى الله عنه 0

فكيف يزور أم حرام إذا ذهب إلى قباء فلا يجد أحداً يقابله، أو يصلى معه، أو يقابله فى الطريق فيسير معه حتى يسمح له بالانصراف؟! وكيف يدخل بيتاً، فلا يدخل إليه فيه من أراد، ممن له حاجة، أو مسألة، أو به رغبة للاستفادة من تجدد رؤيته له، وسعادته بمجالسته ؟!0

أمور كلها تعد من قبيل الشواهد التى لا تخطئ، والدلالات التى تورث اليقين، بأن النبى ، حين زار قباء ودخل على أم حرام فى بيتها، كان معهم غيرهما، ولاسيما وجود أنس بن مالك على ما ورد فى روايات الحديث[1]0

وهذه الشواهد هى التى جعلت الإمام البخارى يعنون لباب القصة بقوله : "باب من زار قوماً فقال عندهم" وتأمل جيداً "قوماً"0

رابعاً : المتأمل فى الحديث يجد قول الراوى : فأطعمته : أى قدمت له طعاماً، و"جعلت تفلى رأسى"0

فهل يناسب هذا القول : "وجعلت تفلى رأسه" حال الرسول وهو يأكل؟ أو حال أنس، وهو جالس إلى خالته حال قيام رسول الله بتناول الطعام؟ وألا يمكن أن يقال : إن الرسول ، بادر إلى النوم قبل تناول الطعام، فأطعمت أم حرام أنساً، وجعلت تفلى رأسه، حتى استيقظ النبى يضحك، ويحكى ما رآه من الصحابة فى السفن كالملوك على الأسرة غزاة فى سبيل الله؟ يجوز 0

إلا أن الذين فى قلوبهم مرض، لا يفطنون لذلك، ولا يسمعون كلام الحافظ الدمياطى وهو يقول : ليس فى الحديث ما يدل على الخلوة مع أم حرام، ولعل ذلك كان مع ولد، أو خادم، أو زوج، أو تابع 0

ولا يهمهم قول ابن الجوزى : سمعت بعض الحفاظ يقول : كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب، أم رسول الله من الرضاعة، ولا يعبئون بقول ابن وهب : أم حرام إحدى خالات الرسول من الرضاعة[2]0

لا يهمهم كل ذلك، ولا يرد على خاطرهم قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها "لا والله ما مست يد رسول الله يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام"[3]0

---

1 () يراجع : تخريج حديثنا السابق، مع رواية أحمد فى مسنده والسابقة قريباً0

2 () ينظر:فتح البارى 11/80، 81 رقمى 6282، 6283، والمنهاج شرح مسلم 7/67 رقم 1812 0

أمور كلها تعد من قبيل الشواهد التى لا تخطئ، والدلالات التى تورث اليقين بأن النبى ، كان قريباً قرابة محرمة لأم سليم، وأختها أم حرام؛ وخصوصاً وأن بعض الروايات تقول : "كان النبى ، يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه"[1]0

ورواية تقول : "نام النبى ، فاستيقظ، وكانت تغسل رأسها، فاستيقظ وهو يضحك، فقالت: يا رسول الله أتضحك من رأسى، قال لا"[2]0

ومن هنا : فلا إشكال فى تفلية أم حرام لرأس رسول الله على فرض الأخذ بظاهر الحديث، لجواز ملامسة المحرم فى الرأس وغيره مما ليس بعورة، وجواز الخلوة بالمحرم والنوم عندها. وهذا كله مجمع عليه[3]0

وقد يقول قائل : قريبات النبى معروفات، وليس منهن أم سليم ولا أم حرام[4] **والجواب:** أننا نتحدث عن مجتمع لم يكن يمسك سجلات للقرابات، وخاصة إذا كانت القرابة فى النساء، فهناك قريبات كثيرات أغفلهن التاريخ فى هذا المجتمع، وأهملهن الرواة[5]0

وإلا هل يعقل أن يترك أهل الكفر والنفاق – زمن النبوة – مثل هذا الموقف دون استغلاله فى الطعن فى النبى ، وفى نبوته؟!0

خامساً : ليس فى روايات القصة، ما يدل على ما زعمه أحمد صبحى، ومن قال بقوله : من دخول رسول الله على أم حرام فى غيبة زوجها لأن

---

3 () أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء 7/14 رقم 1866 والبخاري (بشرح فتح البارى) كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية... الخ 9/330 رقم 5288، وكتاب الأحكام، باب بيعة النساء 13/216 رقم 7214 0

1 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبى 8/95

2 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد، باب فضل الغزو فى البحر 3/7 رقم 2492، ورجاله كلهم ثقات فالإسناد صحيح أهـ 0

3 () ينظر : المنهاج شرح مسلم 7/67 رقم 1812 0

4 () بالغ الحافظ الدمياطى فى الرد على من ادعى المحرمية... وقال : أمهاته من النسب، واللاتى أرضعنه، معلومات ليس فيهن أحد من الأنصار البتة. سوى أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو... ينظر : فتح البارى 11/81 رقمى 6282، 6283 0

5 () ينظر : السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الدكتور طه حبيشى ص 204 0

أم حرام؛ كانت قد تزوجت مرتين، تزوجت مرة قبل عبادة بن الصامت، وأنجبت، ثم قتل ابنها شهيداً فى إحدى معارك الإسلام، وبقيت بغير زوج لكبر سنها، ثم شاء الله أن تتزوج بعبادة بن الصامت ويبقى معها بعد انتقال النبى ﷺ، وقد وقع ذلك فى كلام أنس بن مالك نفسه، وهو يحدث عن خالته بالحديث الذى هو موضوع كلامنا الآن. ففى بعض روايات الحديث قال : ثم تزوجت بعد ذلك بعبادة بن الصامت رضى الله عنه 0

أما هذه الجملة التى وقع عليها – الذين فى قلوبهم مرض – والواردة فى بعض روايات هذا الحديث وهى : "كانت عبادة بن الصامت" فقد أجمع العلماء أن هذه الجملة معترضة، وهى من كلام الراوى يشرح بها حال أم حرام حين ذهبت إلى بلاد الشام، أو إلى جزيرة قبرص، وماتت بها 0

فالمراد بقوله هنا : "وكانت تحت عبادة" الإخبار عما آل إليه الحال بعد ذلك، وهو الذى اعتمده النووى، وغيره تبعاً للقاضى عياض، ورجحه ابن حجر[1]0

قلت : وحتى لو كان عبادة حينئذ تحتها، فلا شك أنه كان يسره، أكل النبى ﷺ، مما قدمته له امرأته، ولو كان بغير إذن خاص منه 0

كما أن دخوله ﷺ، على زوجته حينئذ فى غير وجوده، لا إشكال فيه، لقرابة أم حرام لرسول الله ﷺ ولأنه لم يكن وحده ﷺ، على ما تقرر سابقاً، على فرض عدم القرابة 0

ولعصمته ﷺ، مع كل ما سبق أولاً وأخيراً[2]0

سادساً : ما زعمه أعداء عصمته ﷺ، وحاولوا إيهام القارئ لهم، بأن روايات الحديث فيها أن النبى ﷺ، كان يبادل أم حرام كلمات غير مقبولة، عصمه الله من ذلك 0

فهذا منهم من أفرى الفرى على رسول الله ﷺ، وروايات القصة ترد عليهم، فكل ما فيها أنه ﷺ، زار أم حرام، ونام عندها، واستيقظ يضحك، وسألته أم حرام عن الأمر الذى يضحك منه، فأخبرها أن ناساً من أمته سيركبون البحر، ظهره، ووسطه، ويكونون فيه، وهو أمر فيه أمثال الملوك على الأسرة، وهذا

---

1 () ينظر : فتح البارى 11/75 رقمى 6282، 6283، والمنهاج شرح مسلم 7/69 رقم 1812 0

2 () ذهب بان حجر والسيوطى وغيرهما إلى اختصاصه ﷺ [illegible] : [illegible]

أمر يسعد النبى ، ويرضيه، لما فيه من المخاطر ما فيه، إن فيه خطر ركوب البحر، وفيه الجهاد، وما فى الجهاد من أهوال، وفيه احتمال الموت والشهادة، وأم حرام تعرف ذلك وتدركه، ثم تطمع فيه وتبتغيه، وتسأل النبى الذى لا ترد دعوته، وتقول له : سل الله أن يجعلنى منهم، والنبى سأل ربه، واستجاب له ربه عز وجل، فسألته أم حرام بعد أن نام المرة الثانية فى الوقت نفسه، وقام يضحك، مم تضحك يا رسول الله؟ فقال : كما قال فى الأولى : **"إن ناساً من أمتى سيركبون البحر مثل الملوك على الأسرة، قالت : يا رسول الله! أأنا منهم، قال، لا، أنت من الأولين"**0

ومرت الأيام، وركبت أم حرام مع زوجها، وعلى ساحل البحر، ركبت دابة، فسقطت من على دابتها فماتت، وقبرها على رأى البعض ما يزال ظاهراً، يعرفه الناس فى قبرص باسم قبر المرأة الصالحة 0

أى حديث هذا الذى جرى بين النبى ، وبين أم حرام رضى الله عنها؟ إنه حديث عن المخاطر والأهوال، وهو حديث عن الموت والشهادة، وهو حديث عن استكمال الذات إلى ساعة الممات، وهو حديث فرح النبى بأمته حين ينتشرون بالدين ويحملون لواء الجهاد 0

إن مثل هذا الحديث : لهو حديث الرجولة والكمال، وهو حديث الطمع فى رحمة الله ورضوانه 0
فما علاقة مثل هذا الحديث الشاق بأحاديث الرضا، ومتابعة هوى النفس؟!0

وأين ما يزعمه أعداء الإسلام، إن فى القصة إيحاءات وإشارات مقصودة تجعل القارئ يتشكك فى أخلاق النبى وعصمته فى سلوكه؟!0
وأين كانت أختها أم سليم، وابنها وابن أختها أنس راوى الحديث، من هذه الإيحاءات؟0

ولم لم ينقلها الرواة، وهم الذين يحرصون على نقل كل صغيرة وكبيرة حتى الحركات والسكنات عن المعصوم ؟!0

إن المرء ليس ليسمع الحديث الصحيح، فيدركه على وجهه، إن كان سليم النفس، حسن الطوية، وهو ينحرف به إذا كان إنساناً مريض النفس معوجاً0

وهل ينضح البئر إلا بما فيه؟

وهل يمكن أن نتطلب من الماء جذوة نار؟0
أو نغترف من النار ماء؟
وقديماً قالوا : إن كل إناء بما فيه ينضح 0
أشهد أن الله عز وجل، عصم نبيه ، من الشيطان الرجيم، وعصمه فى سلوكه وهديه، وصدق فيه قول ربه : **وإنك لعلى خلق عظيم**[1] أهـ 0

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

---

[1] () الآية 4 القلم، وينظر : السنة فى مواجهة أعدائها ص 202 – 206 بتصرف 0

الفصل الرابع

شبهة الطاعنين فى حديث "طوافه على نسائه فى ساعة واحدة" والرد عليها

روى البخارى وغيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان النبى يدور على نسائه، فى الساعة الوحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة[1] قال قتادة : قلت لأنس : أو كان يطيقه؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين"[2]0

وفى رواية عن ابن عمر مرفوعاً : **"أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع"**[3] وله شاهد صحيح عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله **"فضلت على الناس بأربع : بالسخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وشدة البطش"**[4]0

---

1 () تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه، ورواه البخارى أيضاً عن سعيد بن أبى عروبة وغيره عن قتادة، فقالوا : "تسع نسوة" وهى الرواية الراجحة، ورواية هشام محمولة على أنه ضم مارية، وريحانه إليهن" وأطلق عليهن لفظ "نسائه" تغليباً أهـ ينظر : فتح البارى 1/449 رقم 268، والمواهب اللدنية وشرحها للزرقانى 6/377 – 379 0

2 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه فى غسل واحد 1/449 رقم 268، وباب الجنب يخرج ويمشى فى السوق وغيره برقم 284، وكتاب النكاح، باب كثرة النساء 9/15 رقم 5068، وباب من طاف على نسائه فى غسل واحد برقم 5215، وأخرجه النسائى فى سننه الكبرى كتاب عشرة النساء، باب طواف الرجل على نسائه فى الليلة الواحدة 5/328 رقمى 9033، 9034، وأحمد فى المسند 3/160، 166، 239، 252، 291، وللحديث شاهد عن سلمى مولاة رسول الله [illegible]/[illegible]

3 () أخرجه الطبرانى فى الأوسط 1/178 رقم 567، وفيه المغيرة بن قيس، وهو ضعيف، كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 4/293، وأخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده ينظر : المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر 4/27 رقم 3869، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى 8/192 مرسلاً عن مجاهد، وطاووس، وصفوان بن سليم، وقال السيوطى فى الخصائص الكبرى 1/119 رواية صفوان جيدة على إرسالها 0

هذا الحديث الذى يبين ما اختص به رسول الله ، دون غيره من الناس، ويبين عدله بين أهل بيته، يطعن فيه أعداء السنة النبوية، بزعم أنه يسهم فى تشويه صورة الرسول ، ويطعن فى عصمته فى سلوكه، حيث يجعل الحديث بزعمهم من رسول الله مهووساً بالجماع؛ كما زعموا أن الحديث يتعارض مع القرآن الذى يبين أن النبى كان يقضى ليله فى قيام الليل، وقراءة القرآن والعبادة، ويقضى نهاره فى الجهاد ونشر الدعوة 0

يقول أحمد صبحى منصور : "البخارى يجعل من النبى مهووساً بالجماع إلى درجة لا يعرفها أشد الرجال فحوله، ولا أعرف من أين لهم ذلك القياس الذى جعلوا به مقدرة النبى – المزعومة – تبلغ قوة ثلاثين رجلاً؟0

ولكن هل كان النبى فعلاً يقضى الليل والنهار فى جماع مستمر؟ وهل كان أصحابه خلفه يهتفون بقدرته الفذة فى النكاح؟ أو هل كانت سنة النبى هى فى الجماع؟0

إن النبى كان يقضى ليله فى قيام الليل، وقراءة القرآن والعبادة، ويقضى نهاره فى الجهاد، والسعى فى توطيد أركان دولته الجديدة، ولم يكن لديه متسع من الوقت ليقطعه فى جماع متصل لجميع النساء، وفى وقت واحد... ولم يكن أصحابه لديهم الفراغ ليشجعوه ويهتفوا لفحولته الخارقة 0
أمامنا نوعان من السنة، أى : طريقة الحياة اليومية للنبى... السنة التى ذكرها الرحمن فى القرآن : **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين آمنوا معك**[1] والسنة التى ذكرها البخارى فى صحيحه، ولا يمكن أن نؤمن بالاثنين معاً"[2]0

وبنحو قوله قال صالح الوردانى، وزاد : "إن الذين اختلقوا هذه الروايات إنما كانوا يهدفون من ورائها إلى تشويه شخصية الرسول 0[3]"

---

4 () أخرجه الطبرانى فى الأوسط 7/49 رقم 6816، وإسناد رجاله موثقون كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/269 0

1 () الآية 20 المزمل 0

2 () قراءة فى صحيح البخارى ص 18 – 20، 29، ولماذا القرآن أو القرآن وكفى ص 88، 89، 72، 73 0

3 () الخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص 75، 76، وأهل السنة شعب الله المختار ص 70 – 75 كلاهما لصالح الوردانى، وينظر : دين السلطان لنيازى عز الدين ص 451، 544، 606، 728،

ويجاب عن ما سبق بما يلى :

أولاً : ليس فى رواية رواة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى أئمة المحدثين كالبخارى ومسلم وغيرهما؛ ليس فى روايتهم الحياة الخاصة لرسول الله ، ما يشوه سيرته العطرة 0

لأن رسول الله معصوم فى سلوكه وهديه، وما ينقل عنه من حياته الخاصة دين، وللأمة فيه القدوة والأسوة الحسنة، وليس أدل على ذلك، ما سبق ذكره من اختلافهم فى جواز القبلة للصائم، وفى طلوع الصبح على الجنب وهو صائم، فسألوا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فأخبرتهم أن ذلك وقع من النبى ، فرجعوا إلى ذلك، وعلموا أنه لا حرج على فاعله[1]0

وهذا النقل لما يخصه فى حياته الخاصة، حث عليه، وكان بإذنه بدليل ما روى أن رجلاً سأل رسول الله ، عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل، هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة، فقال : **"إنى لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل"**[2]0

كما دل على أن هذا النقل من الدين قوله تعالى : **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**[3] فهذا نص قرآنى صريح يأمر بحسن صحبة الزوجة بكل ما تعنيه كلمة "المعروف"[4]0

ومعلوم أن مراد الله فى كتابه، من مهامه ، لقوله تعالى : **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**0[5]

958، والإسلام بدون حجاب – بحيث مستل من شبكة الإنترنت ص 26، وحقائق ثابتة فى الإسلام لابن الخطيب ص 15، 16 0

1 () سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك ص 20 0

2 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحيض، باب نسخ "الماء من الماء" 2/276 رقم 350 من حديث عائشة رضى الله عنها 0

3 () الآية 19 النساء 0

4 () سيأتى بعد قليل تفسير المراد بالمعاشرة بالمعروف 0

5 () الآية 44 النحل 0

ومن هنا : كان نقل هذا البيان فى الحياة الخاصة لرسول الله قولاً وعملاً، دين واجب ذكره، لتتعلم الأمة المراد بخطاب ربها : **وعاشروهن بالمعروف** ولذا ذكر العلماء من حكم كثرة أزواجه :

1- نقل الأحكام الشرعية التى لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفى مثله 0
2- الاطلاع على محاسن أخلاق رسول الله ، الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان[1] وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفية بنت حى بن أخطب، بعد قتل أبيها وعمها وزوجها 0

فلو لم يكن ، اكمل الخلق فى خلقه لنفرن منه! بل الذى وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن[2]0

قلت : وفيما سبق من حكم كثرة أزواجه وغيرها، تأكيد لعصمته فى سلوكه وهديه مع أزواجه الأطهار. لأنه إذا كان ما يقع مع الزوجة، مما شأنه أن يختفى مثله عن الناس، لما فيه من نقص فى قول أو عمل، فهذا بخلاف سيدنا رسول الله لعصمة الله عز وجل له، فقوله وعمله مع أهل بيته كله كمال، ومما تقتضى به الأمة. وإليك بيان ذلك فى حديثنا 0

ثانياً : لا وجه على ما سبق لإنكار أعداء السنة، لما ينقل من أحوال رسول الله ، مع أهل بيته، وزعمهم أن فى ذلك تشويه لشخصيته وسيرته العطرة، لأن فى ذلك المنقول، بيان لعصمته، وعظمة شخصيته، ومحاسن أخلاقه الباطنة مع أهل بيته، وهذا ما دل عليه حديثنا، حيث فيه البيان العملى منه ، لما حث عليه قولاً 0

فعن عائشة رضى الله عنها قالت:قال رسول الله :**"إن من أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً؛وألطفهم بأهله"**[3]وعنها أيضاً عن

---

1 () اسمها : رملة، كانت من السابقين إلى الإسلام، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله، فولدت هناك "حبيبة" فتنصر عبيد الله، ومات بالحبشة نصرانياً، وبقيت أم حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، فأرسل رسول الله [illegible]

2 () ينظر : فتح البارى 1/451 رقم 268، 9/17 رقم 5069 0

3 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان، باب ما جاء فى استكمال الإيمان 5/10 رقم 2612 والنسائى فى سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب لطف الرجل بأهله 5/365 رقم 9154،

رسول الله قال:**"خيركم خيركـم لأهلـه، وأنا خيركم لأهلى"**[1] وهذه الأقوال منه تأكيداً وبياناً لقول رب العزة : **وعاشروهن بالمعروف** وهى كلمة جامعة تعنى : التحلى بمكارم الأخلاق فى معاملة الزوجات، من صبر على ما قد يبدر منهن، أو تقصير فى أداء واجباتهن، ومن حلم عن إيذائهن فى القول أو الفعل، وعفو وصفح عن ذلك، ومن كرم فى القول والبذل، ولين فى الجانب، ورحمة فى المعاملة، إلى غير ذلك مما تعنيه المكارم الأخلاقية التعاملية الأسرية 0

وذلك هو ما دل عليه حديثنا "عدله بين نسائه فى القسم" كما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : "كان رسول الله ، لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم يأتى إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنوا من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التى هو يومها فيبيت عندها"[2]0

وهذا الحديث نص صريح يبين لنا حقيقة طوافه على نسائه جميعاً فى الساعة الوحدة من الليل والنهار 0

إنه طواف حب، ومداعبة، بدون جماع، حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها، كما هو ظاهر كلام عائشة رضى الله عنها 0

ولا يتعارض مع ظاهر حديث أنس رضى الله عنه، فى أن حقيقة طوافه على نسائه جميعاً بجماع 0

وأحمد فى المسند 6/47، 99، وهو مرسل من حديث أبى قلابة عن عائشة، وهو لم يسمع من عائشة،ولكن للحديث شواهد بمعناه، منها الحديث الذى بعده، وهو حديث صحيح، فدل على أن= =للحديث أصلا، ولذلك صححه الترمذى مع تصريحه بعدم سماع أبى قلابة من عائشة، وقال : وفى الباب عن أبى هريرة، وأنس بن مالك، رضى الله عنهما 0

[1] () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبى 5/666 [illegible]

[2] () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء 2/242 رقم 2135 وفيه عبد الرحمن بن أبى الزناد (صدوق) كما قال فيه الحافظ فى تقريب التهذيب 1/569 رقم 3875 وبقية رجاله ثقات – فالإسناد حسن أهـ 0

إذ الجمع بينهما حينئذ يكون، بحمل المطلق فى كلام أنس على المقيد فى كلام عائشة ووجه آخر : بحمل كلام عائشة على الغالب، وكلام أنس على القليل النادر، فلا مانع من أنه إذا طاف على نسائه جميعاً فى بعض الأحيان يكون بجماعهن جميعاً، وتكون له القدرة على ذلك، لم اختصه الله به من القوة وكثرة الجماع، وهو صريح قوله : **"فضلت على الناس بأربع: كثرة الجماع، وشدة البطش**... الحديث[1]0

وقوله : "أعطيت قوة أربعين[2] فى البطش والجماع"[3] وفى ذلك تصريح بأن الصحابة رضى الله عنهم، كانوا يتحدثون عن قوة رسول الله ، فى الجماع من خلال نحو هذه الأحاديث المرفوعة، ولا يتحدثون بالقياس والظن و... كما يزعم أعداء خصائصه وعصمته 0

ثالثاً : ليس للناقل لخصائص رسول الله ، من رواة السنة والسيرة، أى دخل فيها سوى النقل، وأداء الأمانة، أمانة الدين، كما قال : **"نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه"**[4] وقوله : **"بلغوا عنى ولو آية**... الحديث[5] فإذا أدوا هذه الأمانة، كان لهم خير الجزاء من ربهم، والشكر الجميل منا، لم أدوا إلينا من الدين!0

أما الافتراء عليهم والزعم بأنهم يتدخلون فيما ينقلون، ويجعلون من النبى قوة فى الجماع لا يعرفها أشد الرجال فحولة ... الخ[6] فهذا محض كذب عليهم، لا دليل عليه، ونكران لجميلهم وفضلهم، واستخفاف بعقل القارئ!0

رابعاً : إنكار أعداء العصمة، لم اختص به سيدنا رسول الله فى حديثنا هذا من قوة البدن، وكثرة الجماع، إنكار لكتاب الله عز وجل، ورد على رب العزة كلامه، القائل : **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات**0[7]

---

1 () سبق تخريجه ص 462 0

2 () وهذا ليس بمتعارض برواية الصحيح السابقة "قوة ثلاثين" لأنه ليس فى ذكر القليل نفى الكثير، ولجواز أنهم تحدثوا بذلك قبل بلوغهم الزيادة أهـ ينظر : شرح الزرقانى على المواهب 6/379 0

3 () سبق تخريجه ص 462 0

4 () سبق تخريجه ص 16 0

5 () سبق تخريجه ص 263 0

6 () يراجع : كلام أحمد صبحى السابق ص 463 0

7 () الآية 253 البقرة 0

ومع أن كثرة أزواجه ، يشترك فيها مع من سبقه من الأنبياء كما قال عز وجل : **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية**[1]

وكذلك طوافه على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار يشترك فيها مع من سبقه من الأنبياء، كما دل على ذلك قوله : **"كان لسليمان ستون امرأة**[2] **فقال : لأطوفن عليهن الليلة. فتحمل كل واحدة منهن غلاماً فارساً يقاتل فى سبيل الله، فلم تحمل منهن إلا واحدة فولدت نصف إنسان. فقال رسول الله : "لو كان استثنى لولدت كل واحدة منهن غلاماً، فارساً، يقاتل فى سبيل الله"**[3]

إلا أنه ، اختص فى طوافه بخرق العادة له فى كثرة الجماع، مع التقلل من المأكول والمشروب، وكثرة الصيام والوصال، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم، وأشار إلى أن كثرة تكسر شهوته[4] فانخرقت هذه العادة فى حقه [5]

---

1 () الآية 38 الرعد 0

2 () محصل الروايات فى العدد : ستون، وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومائة، وهذا كله ليس بمتعارض، لأنه ليس فى ذكر القليل نفى الكثير، والجمع بين ذلك أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سرارى أو بالعكس، وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون، والمائة، فكن دون المائة، وفوق التسعين، فمن قال تسعون ألغى الكسر، ومن قال مائة جبره، ومن ثم وقع التردد فى بعض الروايات أهـ: ينظر : فتح البارى 6/531 رقم 3424، والمنهاج شرح مسلم 6/134 رقم 1654 0

3 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان والنذور، باب الاستثناء 6/131 رقم 1654، والبخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى : 6/528

4 () فعن ابن مسعود قال : كنا مع النبى

5 () ينظر : فتح البارى 9/ 17 رقم 5069 0

خامساً : ليس فى الحديث كما يزعم أعداء السنة، ما يتعارض مع كتاب الله عز وجل، ويشغله عن قيام الليل متهجداً لربه عز وجل : قال تعالى :

ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً[1] وقال سبحانه : **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين آمنوا معك**0[2]

لأن الحديث واضح وصريح فى طوافه على نسائه فى ساعة واحدة من النهار أو الليل، والساعة هى قدر يسير من الزمان، لا ما اصطلح عليه أصحاب الهيئة[3]0

والساعة هنا : هى حق له، ولأهل بيته[4] ولا تشغله عن حق ربه عز وجل، ولا عن حق رسالته، ونشر دعوته فهو القائل لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، لم أخبر عنه، أنه يصوم النهار أبداً، ويقوم الليل، ويقرأ القرآن كله ليلة، خاطبه رسول الله بقوله : **"فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً"**[5]0

وهكذا كان رسول الله ، فى سيرته يعطى كل ذى حق حقه، يدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها سألت، ما كان النبى ، يصنع فى أهله؟ قالت : كان فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة، قام إلى الصلاة"[6] وفى رواية قالت : "كان بشراً من البشر، يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه"[7]0

---

1 () الآية 79 الإسراء 0

2 () الآية 20 المزمل 0

3 () ينظر : فتح البارى 1/449 رقم 268 0

4 () وهذا على خلاف بين العلماء فى حكم القسم فى حقه، فهو وإن لم يكن واجباً عليه، على القول المرجوح عند الشافعية وكثيرين، وهو الراجح عند المالكية وطائفة، لكنه [illegible] : [illegible] [illegible]

5 () جزء من حديث طويل أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها. كتاب الصوم، باب حق الجسم فى الصوم 4/256 رقم 1975، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الصيام، باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به 4/295 رقم 1159 0

6 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها. كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل فى أهله 10/476 رقم 6039، وكتاب الأذان، باب من كان فى حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج 2/191 رقم 676 0

وتلك هى سنته ، العدل، وإعطاء كل ذى حق حقه، فمن كان عليها فقد اهتدى، ومن كان عمله على خلافها فقد ضل، وذلك ما صرح به المعصوم ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "كانت مولاة للنبى تصوم النهار، وتقوم الليل، فقيل له، إنها تصوم النهار، وتقوم الليل، فقال رسول الله : **"إن لكل عمل شرة[1] والشرة إلى فترة[2] فمن كان فترته إلى سنتى فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل"**[3] وما حث عليه فى أن يكون نشاط المسلم واستقراره على سنته المطهرة، وسيرته العطرة، لا يكون إلا بالعدل، وإعطاء كل ذى حق حقه، لربه، ولجسده، ولأهله... الخ ولأنه ، لا يخالف قوله عمله، كان طوافه على نسائه جميعاً، سواء بمسيس أو بدونه، من العدل بإعطاء كل ذى حق حقه، بدون أن يشغله ذلك عن حق ربه عز وجل وإليك نماذج من قيامه الليل بما لا يتعارض مع طوافه على نسائه!0

1- فعن عائشة رضى الله عنها، قالت : "ما صلى رسول الله العشاء قط فدخل على، إلا صلى أربع ركعات، أو ست ركعات[4] ثم يأوى إلى فراشه فهذا تأكيد من زوجته عائشة، بأنه ، ما ترك قيام الليل، منذ دخل عليها 0

2- وتحكى عائشة رضى الله عنها، أنها : "افتقدت رسول الله ، ذات ليلة تقول : فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسست، ثم رجعت، فإذا هو راكع، أو ساجد، يقول : سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت، تقول : فقلت : بأبى وأمى،

---

7 () أخرجه الترمذى فى الشمائل المحمدية ص 194 رقم 325، وفى سننه كتاب صفة القيامة، باب منه، 4/564 رقم 2489 وقال : حسن صحيح 0

1 () أى : حدة ونشاط زائد. ينظر : مختار الصحاح ص 334، وتاج العروس 3/389 0

2 () أى : هدوء ونشاط معتدل. ينظر : النهاية 3/366، ومختار الصحاح ص 489 0

3 () أخرجه البزار فى مسنده، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 2/258، وأحمد فى المسند 5/409 ورجاله رجال الصحيح كما فى المصدر السابق 3/193، وأخرجه القضاعى فى مسنده 2/126 رقم 1027، وهذا الحديث قاله النبى [illegible]

4 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة، باب الصلاة بعد العشاء 2/31 رقم 1303 وفيه زيد بن الحباب العكلى "صدوق" كما قال الحافظ فى تقريب التهذيب 1/327 رقم 2130 وبقية رجاله ثقات – فالإسناد حسن 0

إنك لفى شأن، وإنى لفى آخر"[1] تعنى : أنها غارت حيث افتقدته، وظنت أنه ذهب إلى بعض نسائه، ولكن إذ بها تجده قائماً بين يدى ربه عز وجل يناجيه 0

3- وتوضح عائشة رضى الله عنها، كيف كان رسول الله ، يجمع بين حق الله تعالى فى قيام الليل، وبين حق أهل بيته وحقه، فتقول : "كان رسول الله ، ينام أول الليل، ويحى آخره، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام، فإذا كان عند النداء الأول قالت : وثب[2] ولا والله : ما قالت قام، فأفاض عليه الماء، ولا والله : ما قالت : اغتسل. وأنا أعلم ما تريد، وإن لم يكن جنباً توضأ وضوء الرجل للصلاة. ثم صلى الركعتين"[3]0

فتأمل : كيف جعل رسول الله ، الجماع تابعاً لقيام ليله، وبعد فراغه منه، ثم ينام، حتى إذا دخل وقت الفجر قام بسرعة، وبكل نشاط استعداداً لصلاة الفجر، بإفضاء الماء على جسده تطهيراً من الجنابة – إن كان جنباً – وتأمل دقة التعبير قالت : "وثب" يقول الأسود بن يزيد راوى الحديث "لا والله : ما قالت قام... إلخ وإن لم يكن جنباً، توضأ وضوء الرجل للصلاة، ثم صلى الركعتين أى سنة الصبح 0

4- وبنفس شهادة عائشة رضى الله عنها، شهد ابن عباس رضى الله عنهما، عندما بات عند خالته أم المؤمنين ميمونة رضى الله عنها 0

ففى الصحيحين عنه : أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها – وهى خالته – قال : فاضطجعت على عرض الوسادة، واضطجع رسول الله وأهله فى طولها، فنام رسول الله ، حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ، فجلس، فمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات خواتيم سورة آل عمران، ثم قام إلى شن[4] معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلى. قال ابن عباس رضى الله عنهما : فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ، يده اليمنى على رأسى، وأخذ بأذنى اليمنى يفتلها بيده، فصلى ركعتين ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين ، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح"[5]0

---

1 () أخرجه النسائى فى سننه الكبرى. كتاب عشرة النساء، باب الغيرة 5/287 رقم 8910 ورجاله كلهم ثقات – فالإسناد صحيح 0

2 () أى : قام بسرعة اهتماماً بالعبادة، والإقبال عليها بنشاط 0

3 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى /

4 () أى : قربة، يبرد فيها الماء. ينظر : النهاية 2/452، 453 0

5 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها. كتاب العمل فى الصلاة، باب استعانة اليد فى الصلاة، إذا كان من أمر

5- وحتى عندما زار أم سليم، وأم حرام، وبات عندهما، لم يمنعه ذلك من قيام الليل على ما جاء فى رواية أنس بن مالك رضى الله عنه قال : صلى رسول الله فى بيت أم سليم، وأم سليم، وأم حرام خلفنا، ولا أعلمه إلا قال : أقامنى عن يمينه"[1]0

وبعد : فهل قصر رسول الله ، مع طوافه على نسائه جميعاً فى ساعة واحدة من الليل أو النهار فى قيام الليل؟0

أو هل تعارض حديث طوافه مع كتاب الله عز وجل، كما يزعم أعداء السيرة العطرة؟0

إن حديث طوافه ، على نسائه جميعاً، يبين بياناً عملياً على ما سبق؛ القرآن الكريم **وعاشروهن بالمعروف** ويبين البيان العملى لخيرية وكمال أخلاقه وعصمته مع أهل بيته، كما قال : **"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى"** إنه يبين كمال رأفته، وحبه، وعدله مع أهل بيته، كما صرحت بذلك عائشة رضى الله عنها "لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم، من مكثه عندنا، وكان قل يوم يأتى إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنوا من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التى هو يومها، فيبيت عندها"0

كما أن الحديث يبين ما اختص به رسول الله ، وفضل به على سائر الناس من "قوة أربعين رجلاً فى البطش والجماع" والأمر هنا : ليس من عند نفسه، ولا من عند رواة السنة – رحمهم الله – وإنما من عند ربه عز وجل، وهو ما يفيده مجئ لفظ "أعطيت" بالبناء للمجهول. فتأمل 0

كما أنه ليس فى كثرة جماعه دليل على (هوسه بالجماع) على حد زعم أعداءه وأعداء عصمته ؟0

لأن الأمر فى ذلك راجع إلى قيامه بواجب العدل بين أهل بيته، كما أنه يرجع إلى طبيعته البشرية، وما اختصه به ربه عز وجل، ولم يكن فى ذلك كله ما يشغله عن حق ربه عز وجل، فهو مع ما طبعت عليه بشريته من كثرة الجماع، فهو بالإجماع أعبد الناس، ولم يخل بعبادته شيئاً، لأنه ، لم يكن يأتيها إلا على مشروعيتها، وهذا هو غاية العصمة والكمال فى البشرية 0

وتأمل مع ما سبق من أحاديث قيامه الليل، حديث عائشة رضى الله عنها : "كان رسول الله إذا صلى، قام حتى تتفطر رجلاه، فقالت : يا رسول الله : أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : **"يا عائشة! أفلا أكون عبداً شكوراً"**[2]0

صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

الصلاة 3/86 رقم 1198، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبى [illegible]

1 () سبق تخريجه ص 455 0

2 () سبق تخريجه ص 127. وللمزيد من بيان هديه فى [illegible] : [illegible] – [illegible].

وعلى آله وسلم ورزقنى قدوة به فى تعدده
وفى عدله مع أهل بيته